تقديم "ألجيرداس جوليان كريماص" لكتاب "مدخل إلى السيميائيات السردية والخطابية": المنهجية والتطبيق، للمؤلف "جوزيف كورتيس"

ترجمة وتعليق: ذ. أشرف ولاد

- السيميائيات السردية : المكتسبات والمشاريع

هذا المقال هو ترجمة لتقديم "كريماص" لكتاب "مدخل إلى السيميائيات السردية والخطابية: المنهجية والتطبيق" لمؤلفه "جوزيف كورتيس"، ترجمة جديدة استفادت من الترجمة القديمة التي أنجزها الأستاذ "سعيد بنكراد" ونشرها في كتاب "طرائق تحليل السرد الأدبي" تحت عنوان: "السيميائيات السردية: المكاسب والمشاريع"، وحاولت تجاوز هفواتها سواء من خلال الترجمة الحرفية أو خلال ترجمة المعنى المقصود من قبل النص الأصلي .

يوضح التقديم رغبة السيميائيات الفرنسية في إيجاد نموذج مستقى من مؤلف "بروب": "مورفولوجيا القصة" يسمح لها بفهم أفضل للمبادئ المنظمة للخطابات السردية في مجملها، رغم أن هذه الأشكال العامة المنظمة للسرد بالموازاة مع إلهامها للكثير من الأبحاث، قد خلقت في نفس الوقت - حسب وجهة نظر "كريماص" - سوء فهم جد مؤسف، حيث تم الخلط باستمرار خلال الممارسات التطبيقية للنماذج البروبية ما بين مهمتين مختلفتين جذريا: الأولى تهدف إلى توسيع معارفنا المتعلقة بالتنظيم السردي، فاختارت طرقا استنباطية ومُشَكْلِنَة « Formatisante»، وعلى عكس الأولى فإن الثانية أرادت استغلال معارفنا الخاصة بالنماذج السردية بهدف قراءة هذه الموضوعات السيميائية المعقدة الخاصة خصوصا النصوص الأدبية.

وبالتالي فهذا التقديم أراد له "كريماص" أن يكون مدخلا لكتاب هدفه الكشف عن المشاكل العامة للسيميائيات منذ الاكتشاف الجديد ل"بروب" من جهة، ومن جهة أخرى أن يعمل (أي التقديم) على التمييز بدقة بين ما يمكن اعتباره مكتسبا للسيميائيات وبين ما يشكل مشاريع وفرضيات تعبد الطريق أمام أبحاث جديدة .

La sémiotique narrative : Les acquis et les projets

Cet article est la traduction d'une introduction de « Greimas » de l'ouvrage « Introduction à la sémiotique narrative et discursive : Méthodologie et pratique » de son auteur « Joseph Courtés ». C'est une traduction récente, inspirée d'une autre plus ancienne, effectuée par l'auteur marocain « Saïd Bengrad » et qu'il a intitulé « La sémiotique narrative : Les acquis et les projets » dans un ouvrage intitulé « méthodes d'analyse de la narration littéraire ». Ce travail à tenté de pallier les lacunes de la précédente traduction et ce à travers une traduction littérale du sens véhiculé par le texte originale.

Cette introduction traduit le souci de la sémiotique française d'instaurer un modèle inspiré de l'œuvre de « Vladimir Propp » « La morphologie du conte » qui puisse éclairer les principes formels du discours narratif dans sa totalité. Il faut dire que bien que ces formes organisatrices de la narration, aient inspiré nombre de recherches, elles ont suscité une inquiétante mésentente en tant qu'il y eût, continuellement, confusion, dans les pratiques d'application des modèles proppiens, entre deux approches radicalement différentes : la première ayant pour but d'enrichir notre savoir en matière d'organisation narrative, a opté pour la méthode déductive et formalisante. La seconde, quant à elle, vise la lecture des formes sémiotiques complexes notamment les textes littéraires, en se basant sur la connaissance des modèles narratifs.

Par ailleurs, cette présentation de « Greimas » se veut une introduction à un ouvrage qui tente de déceler, d'une part les problématiques de la sémiotique depuis l'avènement du modèle de « Propp », et d'autre part il distingue entre les acquis de la sémiotique et les projets et les hypothèses qui constituent un soubassement primordial à de nouvelles recherches.

****

Narrative semiotics : Aquisitions and projects

This article is about a translation of « Greimas »'s introduction of the book « Introduction to narrative and discursive Semiotics : Methodology and practice » whose writer is « Joseph Courtés ». A new translation based on an older one of Mr « Saïd Bengrad » who published it in the book « Methods of literal narration Analysis », untitled by « Narrative Semiotics: Aquisitions and Projects ». I have tried in this work to avoid gaps in both literal translation and the translation of the meaning held in the original text.

This introduction / presentation explains how french Semiotics want to find an example from the writer « Vladimir Propp »'s « The Morphology of the story », which allows to grasp the best principles to narrative speeches in general. Although these forms are organizing narration and inspiring a lot of researches as well, they cause - at the same time - a confusion during the practical uses of « Propp »'s examples between two different tasks : the first one is opting to enlarge our knowledge related to the narrative organization using deductive and formalizing methods. At the opposite of this, the secondone meant to use our personal knowledge about narrative examples, in order to read these complicated narrative topics, especially literal texts.

Thus, this presentation of « Greimas » is to be an introduction to a book whose goal is to define the general problems of semiotics since the new discovery of

« Propp » and also to differentiate precisely between what we consider an acquisition to semiotics and what make new projects and hypotheses facilitating new researche

*** النص المترجم:**

- ملاحظات تقديمية:

إن المجال (الميدان) السيميائي الذي عرف، في السنوات الأخيرة، تطورات أكثر وضوحا- أو على الأقل مزيدا من الأبحاث المرتبطة بالجانب النظري وبالتطبيقات الإجرائية - هو بدون شك مجال التحليل السردي للخطابات. حيث أن التفكير في السردية « Narrativité »، إذ انطلق في منهجيته من استثمار متسرع شيئا ما لـ "مورفولوجية" « Morphologie » بروب، قد عمل أحيانا على إفراز مشاريع تخصص مستقلة من قبيل "علم السرد" « Narratologie »، وأفرز أحيانا أخرى بناءات سريعة لـ "أنحاء" أو لـ "أنساق منطقية" مرتبطة بالجانب السردي. إذ أنه على عكس ما حدث في الاتحاد السوفياتي أو الولايات المتحدة حيث سعى سيميائيون كـ "ميليتينسكي" E.Meletinsky أو "داند" A.Dundes جاهدين إلى تعميق الدراسة (البحث) حول معرفة الآليات الداخلية المشكلة للسرد المحصورة في النصوص الإثنو-أدبية، نجد في الواقع على أن السيميائيات الفرنسية قد أرادت أن تجعل من مؤلف بروب نموذجا يسمح بفهم أفضل حتى للمبادئ التي تعمل على تنظيم الخطابات السردية في كليتها. إن فرضية وجود "أشكال كلية"، تعمل على تنظيم السرد، معترف بها صراحة أو مقبولة ضمنيا، إذ ألهمت أبحاثا عديدة، قد أحدثت في نفس الوقت سوء تفاهمات مؤسفة للغاية.

وفي استقلال عن الانتقادات التي ارتكزت على مسبقات إيديولوجية غير علمية والتي تمس – أو لا تمس- كل العلوم الإنسانية، فإن أول سوء التفاهمات تلك ينجم عن التطبيق الآلي لنماذج بروب النقدية - أو لمشتقاتها الركيكة - على نصوص أدبية معقدة للغاية. دون أن نتساءل مجددا بخصوص مسألة "كلية الأشكال الخطابية"، فإن مثل هذه الممارسات غالبا ما نجحت في إثبات عدم نجاعة الإجراءات « Procédures » المقدمة من قبل السيميائيات. لقد تم المزج دوما في تمارين إجرائية من هذا النوع، بين مهمتين منهجيتين جد متمايزتين: تستهدف المهمة الأولى الزيادة في معارفنا بخصوص التنظيمات الخطابية السردية، وتتبنى غالبا، إما عن رغبة أو عن اقتضاء، طرائق استنباطية (استنتاجية) ومُشَكْلِنَة « Formalisante » (مُصَوْرِنَة)، أما المهمة الثانية فتسعى، على عكس ذلك، إلى استثمار المعرفة الخاصة بالنماذج السردية بهدف قراءة هذه الموضوعات السيميائية المعقدة والمتفردة التي هي النصوص، وخصوصا النصوص الأدبية. فمن الطبيعي إذن وغير المدهش أن يفرز الافتقار إلى الأدوات قراءات لا معنى لها ولا فائدة معرفية ولا سيميائية ترجى من ورائها.

يمكن تفسير حالة الأشياء هاته بنوعين من الضعف – أو القصور- حيث لم يعرف بعض السيميائيين كيفية استثمار نتائج أبحاث [بعض الباحثين] مثل "دوميزيل" Dumézil أو "ليفي ستراوس" Lévi Strauss بتأكيد وجود بنيات عميقة منظمة للخطابات، غير أنها تكون ثاوية خلف التجليات السردية السطحية ذات النمط البروبي. كما تغاضوا أيضا عن تقدير المسافة الهائلة التي تفصل ما بين الانتشار السردي وخطية النص المتجلي، وهو ما بدأت بالكاد الأبحاث والدراسات المرتبطة بمجال البلاغة واللسانيات النصية تعمل على تغطيته. إن عملية قراءة نص

أدبي معين، مختزل هكذا في بعده السردي السطحي (المتمظهر)، لا يمكنها، مُذَّاكَ، أن تظهر إلا كإفقار له إلى أقصى حد، لاسيما وأن النماذج ذات الصلة الوثيقة بالتحليل السردي المستعارة من بروب والمعدلة بشكل طفيف أي ليس بذلك العمق المطلوب، قد أصبحت شيئا فشيئا أقل ملائمة لتحليل مواضيع ذات تعقيد بنيوي بالغ على الدوام.

يسعى هذا النص الذي يراد له أن يكون بمثابة تمهيد لكتاب استئناسي بالمشاكل العامة للسيميائيات، إلى العمل على تجسيد إحدى المشاكل الأكثر سخونة وذلك بإبراز المسار الذي تم اجتيازه منذ الاكتشاف الثاني لبروب من جهة، وبتمييز ما يمكن أن يعتبر مكتسبا للسيميائيات عن المشاريع والفرضيات التي تريد فتح السبيل أمام أبحاث حديثة من جهة أخرى بأكبر قدر من الوضوح.

I- فحص انتقادي لـ " مورفولوجية " البروبية :

1- مشاكل اللغة الواصفة:

دون أن نسعى إلى التقليل من أهمية اكتشاف بروب، يجب أن نقول، مع ذلك، على أن تقديم نتائج تحليله يفتقد للدقة وينطوي على ثغرات جلية.

أ- إن القول بأن الحكاية « Le conte » هي توالي لإحدى وثلاثين وظيفة، كما فعل بروب، يفترض التعريف القبلي لمفهوم "الوظيفة" « Fonction » . غير أنه، لو أمكننا أن نثق في حدس بروب عندما ينظر إلى "الوظائف" بوصفها تغطي "دوائر فعل" « Sphères d'action »شخصيات الحكاية، فإن الصياغات التي يقدمها لمختلف الوظائف تتركنا غالبا حائرين: إذا كان "رحيل البطل" « Départ du héros » يبدو بوصفه "وظيفة" تطابق شكلا معينا من النشاط، فإن "النقص" « Le manque » بعيدا عن كونه يجسد فعلا، يعين بالأحرى حالة « Etat » ولا يمكن النظر إليه باعتباره وظيفة.

وهكذا، عندما نعتبر جرد اصطلاحات "الوظائف" البروبية، يتولد لدينا الانطباع بأنها تصلح، في ذهنه، لتلخيص مختلف مقاطع الحكاية، بإدخالها للقراءات وبتعميم معانيها، أكثر من تعيين مختلف أنماط الأنشطة حيث يعمل فيها التوالي على إظهار الحكاية باعتبارها برنامجا منظما. من تم، تظهر اللغة الواصفة التي استعملها بروب بصفتها لغة توثيقية « Un langage documentaire »: دون أن نفرض عليها مقتضيات أخرى، بإمكاننا أن نطبق عليها بعض المبادئ البسيطة التي تحكم بناء لغات كهذه، مع السعي، في المقام الأول، إلى إعطاء هذا التوالي لل "وظائف" صياغة تقنينية متماثلة. لكي نبقى مخلصين لمفهوم "دائرة الفعل"، يمكننا أن نمثل مثلا، بكيفية مماثلة، كل "فعل" بمحمول (أو وظيفة بالمعنى المنطقي لـ"علاقة")، بإتمام هذا التمثيل الخاص بال "فعل" عن طريق إلحاق عوامل (-"شخصيات") مقحمة داخل الفعل. لتحمل إذن "الوظيفة" البروبية الشكل التقنيني لملفوظ سردي:

م س = و (ع1، ع2، ...)

دون أن نخذل قطعا حدس بروب، فإن ترقيما متجانسا كهذا يشكل سلفا إعدادا من أجل تفكير صوري: فهو يسوغ مثلا النظر في وظيفة "الانتقال" « Déplacement » باعتبارها ثابتة

وبمعاينة العوامل المقحمة في أماكن شتى من النص بصفتها متغيرات؛ إذ أنه يعمل على تبسيط – عبر اتخاذ عامل معين بوصفه ثابتا – ضم كل وظائفه باعتبارها مكونة لـ " دائرة فعله" إلخ.

ب- إن السعي لتسوية كهذه، بفرض مقتضيات دقيقة، لا يقصر في إظهار ما يشوب تقديم بروب من ثغرات ولبس. هكذا، وبإدراج ملفوظ سردي يصف رحيل البطل داخل سيرورة سردية، لن نستطيع عدم تبين غياب "مجيء البطل"؛ أيضا عندما نعاين الوظيفة البروبية "زواج"، نكون مستدرجين إلى أن نتبين أنها تأليف من ملفوظين سرديين على الأقل: فالزواج يغطي الهبة Le » « don بصفتها الابنة التي يقدمها الأب (أو الملك) للبطل، لكنه يغطي كذلك العلاقة التعاقدية لمن يهمهما الأمر. حيث يتم في نفس الآن تجاوز مسألة الكتابة "السليمة" للوحدات السردية: كون ملفوظ سردي أساسي منطقيا يجد نفسه محذوفا داخل تجليات نصية، وأنه، على العكس من ذلك، تكون قطعة ما هنا لتشير إلى ملفوظين سرديين متواريين، يفرض قضية الوضع النظري لما لم يكن بالنسبة لنا حتى الآن سوى خطابا توثيقيا وكذا علاقاته بالنص السردي المتحقق في تجلياته. بدلا من أن يكون هذا الخطاب الثاني تلخيصا توثيقيا لما نجده داخل النصوص التي يغطيها، فإنه يبدو باعتباره تمثيلا تركيبيا–دلاليا، مركزا « Encatalysé » وواضحا في الوقت ذاته، يقوم مقام بنية عميقة في علاقتها بالبنيات السطحية التي هي النصوص-المتجلية -Textes « occurrences ».

2- الاعتراف بالضوابط:

لاحظنا على أن الضبط البسيط لاصطلاحات "الوظائف" البروبية، مكونة باعتبارها ملفوظات سردية، تسمح سلفا بالاعتراف بعدد من الضوابط داخل "التوالي" الذي يؤسس الحكاية حسب بروب بصفتها محكيا « Récit ».

أ- يعد "ليفي ستراوس" أول من جذب اهتمام الباحثين إلى وجود إسقاطات استبدالية « Projections paradigmatiques » تعمل على تغطية التسلسل المركبي « le déroulement syntagmatique » للمحكي البروبي، كما أصر على ضرورة إجراء تجميعات لل "وظائف". في الواقع، يمكن تجميع الملفوظات السردية ليس بسبب تقاربها النصي، بل بالنظر إلى تباعدها، فحيث أن ملفوظا ما يتطلب – أو بالأحرى يستدعي- ضده الذي تم اعتماده مسبقا، فذلك يجعل بالتالي وحدات سردية جديدة - منفصلة بالنظر إلى حبكة المحكي، إلا أنها مؤلفة من العلاقات الاستبدالية التي تعمل على تقريب محمولاتها-وظائفها – يجعلها تظهر بصفتها قرائن من قبيل:

/ رحيـــل / ضد « VS » / رجوع/

/ إحداث النقص/ ضد « VS » / التخلص من النقص/

/ تأسيس الممنوع/ ضد « VS » / إلغاء الممنوع/، إلخ.

تلعب هذه الوحدات الاستبدالية دور المُنظِّم للمحكي داخل الخطاطة المركبية، كما تشكل نوعا من دعامته. فضلا عن ذلك، فإن الاعتراف بالإسقاطات الاستبدالية فقط هو الذي يسوغ التكلم عن

تواجد بنيات سردية، بما أن "التوالي" البسيط للملفوظات السردية لا يعد مقياسا كافيا من أجل تحليل بنية المحكي.

ب- كما أن الاطلاع على جرد "الوظائف" البروبية لا يظهر فقط تواجد وحدات مركبية ذات بعد أكبر من الملفوظات السردية - سوف نفكر بادئ الأمر في الاختبارات -، بل يظهر كذلك خاصيتها التواترية. يمكن رصد صنفين من التواتر. نجد أولا التضعيفات (إن الاختبار الذي يخفق يستتبعه اختبار ناجح مشابه) و / أو التثليثات (توالي ثلاث اختبارات وتستهدف الحصول على نفس موضوع القيمة): حيث أن الدلالة الوظيفية لهذه المتواليات – التي تسم حدة أو كلية « L'intensivité ou la totalité » الجهد – لا تعد مشكلا، فإن البحث المقارن للوحدات المتوالية يُسَوِّغُ الاعتراف بالمميزات الثابتة والصورية للاختبار ويميزها عن الاستثمارات الدلالية والتصويرية المتغيرة.

بعد اختزال هذا النوع من التواترات، نلفي أنفسنا أمام وجود متوالية من الاختبارات حيث، وبامتلاكها للشكل التقنيني المعترف به مسبقا، تتميز الواحدة عن الأخرى معا بتباين مواضيع القيمة المستهدفة و بتموضعها داخل الترابط المركبي. بمعنى آخر، أنه بالإضافة إلى العلاقات الاستبدالية المبينة سلفا، نعثر كذلك على علاقات مركبية مهيأة لأداء دور المنظم للبنيات السردية. وهكذا يتم استبدال التعريف البروبي للحكاية بصفتها "تواليا لإحدى وثلاثين وظيفة" بالاعتراف بالدعامة العلائقية البانية للمحكي.

II- البنيات السردية: ما بعد بروب

1- الخطاطة السردية :

1-1- سيرورة من الاختبارات :

يمكننا أن نتساءل حول ما الذي يزال متبقيا من التعريف البروبي للحكاية بعد هذا الفحص التحليلي الأولي الذي سَوَّغَ لنا استبدال المفهوم الغامض لل"وظيفة" بالعبارة التقنينية للملفوظ السردي، و التحقق من كينونة وحدات سردية ذات خاصية استبدالية تارة ومركبية تارة أخرى، مؤلفة من العلاقات التي تتصل بواسطتها الملفوظات السردية فيما بينها والعمل على تفسير المحكي بوصفه بنية سردية، يعني بوصفه نسيجا علائقيا واسعا ثاويا خلف الخطاب السطحي الذي لا يمظهره إلا جزئيا. يمكن أن نتساءل خصوصا عما يعنيه مفهوم "التوالي" في هذه الحالة، المقوم الأساسي في تحديد بروب:هل يشير ببساطة إلى كون الملفوظات السردية تتوالى الواحدة بعد الأخرى أثناء التجلي الخطي للسردية على هيئة خطاب – مما يعيدنا مجددا، مع كونه غير خاطئ، إلى تصور "المورفولوجيا" بوصفها تلخيصا بسيطا للوقائع المسرودة داخل الحكاية – أم أنه يدعونا إلى اعتبار التنظيم « Dispositif » المركبي للمحكي بصفته ذا "معنى"، وجهة، قصدية مضمرة حيث يعود إلينا اقتراح التأويل؟ إن هذا الافتراض الثاني هو الذي سوف نتوقف عنده حاليا.

لنقل على أن اهتمام قارئ بروب، يتم جذبه بواسطة توالي الاختبارات الثلاث التي تمفصل المحكي برمته، بوصفها فترات قوية والتي هي:

- الاختبار التأهيلي،

- الاختبار الإنجازي

- الاختبار التقييمي.

نشير فعلا بعد تتبع بطل الحكاية العجيبة « conte merveilleux » خطوة خطوة، على أن هذا الأخير، وبعد موافقته على مهمته، عليه أولا أن يجتاز امتحانا بمثابة ممر يسوغ له اكتساب - أو يُقِرُّ لَهُ بوصفه حائزا على - مؤهلات ضرورية من أجل الشروع في البحث الذي سوف ينتهي بالاتصال الإنجازي والحصول على موضوع القيمة المبحوث عنه؛ كنتيجة لهذه الأعمال الباهرة، سوف يتم تقديره وتقييمه بوصفه بطلا. بتأملنا ذلك قليلا، ندرك على أن الأمر يتعلق هنا بـ "قصة" « histoire » كاملة تروى لنا عن قصة لحياة مثالية حيث تمفصل الاختبارات المشاهد الثلاثة الأساسية التي يكررها كل رواة العالم بلا كلل: تأهيل الذات، متجليا تحت أشكال متنوعة (طقوسية الاستئناس، طقوس الاجتياز، مباريات وشواهد)؛ تحقق الذات في الحياة باعتبارها فضاء افتراضيا يتم استدعاء الإنسان إلى تعبئته عبر أفعاله « actes » بتحقيق شيء ما وبالتحقق في نفس الآن؛ الاعتراف، هذه النظرة الغيرية التي تسند الأفعال إلى فاعلها وتشكله في كينونته.

ليست تلك بالتأكيد سوى رواية ضمن أخريات يعرضها علينا المتخيل الإنساني عن "معنى الحياة" مقدمة بصفتها خطاطة فعل « Un schéma d'action » : إن التغيرات حول هذه التيمة عديدة، وهكذا فهي تفتح [التغيرات] تشكيلة من الإيديولوجيات. ما يهم حاليا، هو الاعتراف بمبدأ ثابت للتنظيم يسمح باعتبار هذه الخطاطة بوصفها تصورا عمليا. تقترح علينا نسقية بروب إمكانية أن نقرأ أي خطاب سردي بصفته بحثا عن المعنى، عن الدلالة التي تسند للفعل الإنساني: تظهر الخطاطة السردية « Schéma narratif » إذن بصفتها التمفصل المنظم للنشاط الإنساني الذي يشيدها بالدلالة.

إن تصورا كهذا للخطاطة السردية – على الرغم من أنه يعطي بداية للجواب عن السؤال الذي عرف نقاشا قويا حول معرفة ما هو المحكي – لا يعد بالتأكيد سوى فرضية قابلة رغم ذلك أن تستدعي حولها عدة أبحاث خاصة. إن قيمة النموذج البروبي، كما هو واضح، لا تكمن في عمق التحاليل التي تدعمه ولا في دقة صياغاته، بل في فضيلته الاستفزازية، في تمكنه من إحداث فرضيات: إنه التجاوز بكل معنى لخصوصية الحكاية العجيبة التي تميز نهج السيميائيات السردية منذ بداياتها. يبدو توسيع وتمتين مفهوم الخطاطة السردية التقنينية « Schéma narratif canonique » بالتالي بوصفهما إحدى مهامه الراهنة.

إذا كان "التوالي" « Succession » البروبي، مؤولا بصفته قصدية دالة وواقعة على مستوى أكثر عمقا من الخطية البسيطة للتجلي الخطابي، يسمح بافتراض وجود "خطاطة" سردية منظمة، فإن التمفصل المنطقي لهذه الخطاطة يعطي، على العكس، صورة لـ "توالي معكوس" « Succession à rebours ». إن الاختبارات الثلاث، لكي لا نتحدث إلا عنها، تتوالى بالفعل، على الخط الزمني (أو الخطي [الكرافيكي])، الواحدة بعد الأخرى، لكنه لا توجد أية ضرورة منطقية لكي يستتبع الاختبار التأهيلي اختبار إنجازي أو ليَكون هذا الأخير مقيما: فكم من أمثلة عن ذوات مؤهلة لا تمر نهائيا إلى الفعل، وكم من أفعال جديرة غير معترف بها نهائيا. على العكس، تقيم القراءة المعكوسة نظاما منطقيا للافتراض المسبق: يفترض مسبقا الاعتراف بالبطل

الفعل البطولي؛ هذا الأخير، يفترض مسبقا بدوره، تأهيلا كافيا للبطل (بغض النظر بالتأكيد عن تنظيم قيم الحقيقة التي تُدرِجُ متغيرات جديدة، بتحديد الاختبارات على وجه مخالف). إن قصدية الخطاب السردي، بوصفه فرضية بسيطة في البداية، تجد تسويغها على طريقة تطور الجهاز العضوي « L'organisme » في الوراثة «Génétique» ، داخل النسقية المنطقية المعترف بها فيما بعد.

1-2- المواجهة :

يرتكز التأمل الذي سمح لنا بالإحاطة بمفهوم الخطاطة السردية « Shéma narratif»، في جزء كبير، على فحص الحكاية العجيبة البروبية. وبالنظر إليها عن كثب، نلاحظ على أن هذه الحكاية، عوض أن تشكل كلا متجانسا، فإنها في الواقع محكي معقد أو على الأقل مزدوجة، لأنه وإن كانت تقدم نفسها بصفتها علاقة الاختبارات المنجزة من قبل الذات (البطل)، فإنها تتضمن في نفس الوقت – بطريقة شبه مضمرة وهو صحيح - قصة أخرى، تلك المتعلقة بالذات-المعاكسة (الخائن)، محكيان حيث أنهما، كلما تداخلا وتشابكا، لا يمكن تمييزهما عن بعضهما، من وجهة نظر تنظيمهما الصوري، إلا بواسطة تلوينهما الذهني المختلف، إيجابيا كان أو سلبيا. هذه الأخيرة، بعيدا عن أن تكون خاصية مكونة للمحكي، ليست إلا تحديدا ثانويا ومتغيرا: فالخائن البروبي، المحدد سلبا، له تصرف مشابه لتصرف القزم، البطل الإيجابي؛ فالغول مقدما بوصفه "خائنا" « Traître »، لا يميز أساسا جراء امتلاكه لقدرة-الفعل في الحالة الصرفة عن البطولي رولان « Roland » برفضه دق الناقوس وباستنجاده بالتالي بنوع من "معرفة-الفعل" « Savoir- faire » .

إن الإقرار بهذه الثنائية يرغمنا على اعتبار الخطاطة السردية بصفتها مكونة من مسارين سرديين « Parcours narratifs » خاصين بكل ذات (الذات والذات- المعاكسة) المدرجتان داخل المحكي. بإمكان هذين المسارين أن يتجليا بشكل منفصل، يستحوذ أحدهما مثلا على البداية والثاني على نهاية فعل السرد La « narration : فمن الضروري مع ذلك أن يلتقيا ويتراكبا لحظة ليفرزا مواجهة « Confrontation » بين الذوات، التي تشكل منذ ذلك الحين محاور« Pivots » الخطاطة السردية، فالمواجهة، بدورها، يمكن أن تكون سواء جدالية « Polémique »أو تصالحية « Transactionnelle » ، بتجليها تارة عبر معركة، وتارة عبر تبادل« Un échange » ، فهو تمييز يسمح بالاعتراف بتصورين للعلاقات الخارج إنسانية (صراع الطبقات مثلا، في مقابل العقد الاجتماعي) وبتجزيء المحكيات إلى قسمين كبيرين حسب هذا المعيار.

1-3- مرور المواضيع والتواصل ما بين الذوات:

إن رهان هذه المواجهات، مهما كانت عنيفة أو مسالمة، يتشكل من مواضيع قيمة مرغوب فيها من الطرفين، كما أن تبعاتها تختزل في انتقالات للمواضيع من ذات لأخرى. يمكن أن تتلخص المواجهة كذلك، في هذه النتائج، في صيغة تقنينية بسيطة:

$ذ_1 \cup م \cap ذ_2$

التي تقول على أنه في نهاية مجابهة ما أو اتفاق ما، تجد أحد هاتين الذاتين نفسها منفصلة بالضرورة عن موضوع القيمة، في حين يدخل منافسه في اتصال معه. إن انتقالات من هذا

النوع، داخل الحكاية العجيبة، تنتج عدة مرات (يستولي الخائن على بنت الملك، يسترجعها البطل ويعيدها إلى أبيها الذي يزوجها له)، ويعرف الإثنو-أدب نوعا من المحكيات مميزا بالتسلسل اللامنتهي لانتقالات المواضيع، يمكن للمحكي، من وجهة النظر هذه، أن يحدد بواسطة مرور المواضيع، إذ يشكل، كل انتقال، محورا سرديا يمكن انطلاقا منه أن يعاد كل شيء.

رغم ذلك - وهذا ربما هو الأكثر أهمية - نلاحظ هنا بروز تمييز جديد بين مستويين عميقين غير متساويين: إذا كان المحكي يبدو على أنه يضمر نوعا من التركيب الأولي للانتقال، فإن تنقلات المواضيع هي في نفس الوقت مغطاة، على مستوى أكثر سطحية، بواسطة تشكلات خطابية « Configurations Discursives » من كل نوع (اختبارات، اختطاف، احتيال، تبادل، هبات، مقابل-الهبة) التي تطورها بكيفية تصويرية « Figurative » . ينتج عن ذلك أن المستويين اللذين تم التعرف عليهما يمكن أن يوصفا ويعالجا بشكل مستقل، وأنه لتحليل الاشتغال الداخلي للنص السردي « Texte narratif » ، يجب تأسيس قواعد مرور مواضيع القيمة من جهة، ومن جهة أخرى، تشكيل نمذجة « Typologie» للتشكلات الخطابية النحوية التي تتجلى بواسطتها هذه الانتقالات: سوف تعمل قواعد جديدة للتقنين بتوضيحها لشروط التحام التشكلات بالانتقالات، على تأسيس قنطرة بين التمثيلات المنطقية والتصويرية للسردية.

لا يعد مرور المواضيع رغم ذلك شيئا آليا ومنطلقا من الذات؛ على منوال الكرة التي تغير المعسكر باستمرار خلال مباراة في كرة القدم، فموضوع-القيمة« L'objet- valeur » يحتاج إلى أن يُدفع ويُمسك بواسطة ذوات متنافسة. إن التشكلات الخطابية التي حددناها على البعد التصويري للنص بشكل سريع بعض الشيء، لا يغطي فقط تنقلات المواضيع، بل أيضا سلسلة من الأفعال المنجزة من قبل الذوات بتحقيقها للتنقلات: بمعنى آخر، يفترض مرور المواضيع مسبقا الوضع القبلي للذوات التي تحركها، بنية للتواصل حيث ستتحرك داخلها المواضيع على طريقة الإرساليات.

2- البرنامج السردي:

2-1- ملفوظات الحالة:

مع المحافظة للتشكلات الخطابية النحوية على وضعها الخاص بالتغطية التصويرية للعمليات المنطقية، نكون مستدرجين صوريا، تحت هذه التغطية الشفافة، إلى الاعتراف وإلى تمييز نوعين من الذوات: ذوات الحالة وذوات الفعل، باعتبار الأولى، فيما يتعلق بوصلها بالمواضيع (اتصال وانفصال)، بصفتها ممتلكة للقيم، والثانية بصفتها ذوات فاعلة تحول الأولى بقيامها بعمليات الوصل. تتحدد ذوات الحالة داخل وجودها السيميائي بواسطة ميزاتها (مؤهلات، صفات): في الواقع، لا يمكن التعرف عليهم بوصفهم ذواتا إلا في نطاق كونهم في علاقة مع مواضيع قيمة وتشارك في مختلف الفضاءات الأكسيولوجية « Axiologiques »؛ كما أن مواضيع القيمة، بدورها، هي ليست ذات قيمة إلا إذا كانت مواضيعا تستهدفها الذوات. بمعنى آخر، ليس هنالك تعريف ممكن للذات دون وضعها في ارتباط بالموضوع، والعكس.

إذن فالتمثيل التقنيني للذات لا يمكنه إلا أن يأخذ شكل ملفوظ حالة « Énoncé d'état » والمكونة وظيفته بواسطة العلاقة بين الذات والموضوع:

ذ ∩ م أو ذ U م

تحظى صياغة كهذه بسماحها بتحديد كل عامل « Actant » من الخطاطة السردية، في فترة معطاة من فعل السرد « Narration » بواسطة مجموع ملفوظات الحالة المكونة له.

2-2- ملفوظات الفعل :

تعالج ذات الفعل تحولات تتموقع بين الحالات. هكذا فالصيغة

ذ U م ← ذ ∩ م

تُقرأ بوصفها تمثيلا لحالتين متواليتين لذات ما، حيث تكون في البداية منفصلة عن موضوع القيمة، بعد ذلك تجد نفسها متصلة معه، وذلك عقب تدخل يحقق التغيير. تدخل كهذا لا يمكن تأويله إلا إذا سلمنا بوجود فعل محول « Faire transformateur » تمارسه ذات الفعل وتستهدف ملفوظ حالة يُقصدُ تحويله بوصفه موضوعا: فملفوظ الفعل « Énoncé de faire » إذن هو ملفوظ بحكم ملفوظ الحالة. بترميزنا بطريقة مطولة لذات الفعل بـ ذ1 ولذات الحالة بـ ذ2، يمكن أن نمثله بالكيفية التالية:

فعل محوِّل. [ذ1 ← (ذ2 ∩ م)] أو فعل محوِّل. [ذ1 ← (ذ2 U م)]

إن تمييز ذاتين، ذ1 و ذ2، لا ينتج فقط عن مقتضى صوري، إنه يرتكز على عدة حالات ملحوظة: فلو اجتمعت الذاتين توليفيا في ممثل واحد في حالة الفعل المسمى "سرقة"، فإنه في حالة "الهبة" يتم الحصول على نفس حالة ذ2 بواسطة فعل ذ1، المميز عن الأول.

إذا أردنا ترجمة الصيغة التي قمنا باقتراحها إلى الفرنسية اليومية، فسوف نعمل على مطابقتها بشيء معين من قبيل "فعل-الكينونة" « Faire - être » ، وهذا ما يشكل التعريف التقليدي للفعل « Acte » : فملفوظات الفعل وملفوظات الحالة ليست إذن سوى تمثيلات منطقية-دلالية للأفعال وللحالات.

3-2- التركيب العاملي :

هكذا، وبطريقة غير منتظرة، يتم إيجاد اقتراح حل لمشكل لا ينفك عن تحيير السيميائيين، الذي هو التعريف المحتمل لل "محكي الأدنى" « Récit minimal » : في الواقع، إذا كنا نتصور المحكي، حدسيا، بوصفه "شيئا معينا يحدث" « Quelque chose qui se passe » فإنه بإمكان تصورنا للفعل بصفته إنتاجا لحالة جديدة أن يحل محل تعريف كهذا.

إن الخلاصات التي يمكن أن نخرج بها تتميز أساسا، مع ذلك، عن تلك التي نتبناها عادة والتي يكون وفقها المحكي الأدنى نوعا من المحكي الأصغر « Micro - récit » القابل للتآلف مع محكيات مصغرة أخرى لتشكيل المحكي الأكبر « Macro - récit » المطابق لأبعاد النص السردي في كليته على إثر الاندماجات، التشابكات والانتظامات المتوالية. بالنسبة لنا، يعد الاختلاف ما بين "المحكي الأصغر" و"المحكي الأكبر" اختلافا في الطبيعة وليس في البعد.

تدقيق مصطلحي يفرض نفسه أولا. ففي حديثنا عن ملفوظ الفعل بوصفه تمثيلا لفعل منتج لحالة، أهملنا الإشارة - كما هو مسلم به - إلى أن الأمر يتعلق هنا ليس بفعل متحقق فعلا، بل بفعل مروي، بفعل "على الورق" تقريبا. كما أنه من الأفضل اعتبار الصيغة، موضع السؤال، بوصفها

لا تمثل الفعل، وإنما البرنامج السردي« Programme narratif » بتحليلها للبنية التركيبية للفعل.

يمكننا إذن أن نستعيد الملاحظة المسجلة في 2-2-1، التي وفقها يمكن لملفوظ الحالة أن يصلح لتحديد أي عامل من الخطاطة السردية في لحظة معينة من سيره، لإتمامها بإضافة أنها تصدق كذلك على ملفوظات الفعل، القابلة لتحديد مختلف عوامل فعل السرد بصفتها ذواتا للفعل (مرسل، ذات، ذات-معاكسة، إلخ). ينتج عن ذلك أن ذات الفعل وذات الحالة اللذان قمنا بتعريفهما، ليسا عاملين سيميائيين « Actants sémiotiques » مساهمين مباشرة، بوصفهما كذلك، في الخطاطة السردية المنظمة للخطاب، بل عاملان تركيبيان، نوعان من المؤشرات التركيبية « Des modi operandi et significandi »، التي تسمح بحساب العمليات المنجزة من قبل عوامل مختلفة وبقياس "كينونتها" من حيث الزيادة و/ أو النقصان المستمران أثناء سير المحكي. بمعنى آخر، إن البرامج السردية هي عبارة عن وحدات سردية تعود إلى تركيب عاملي يُطَبَّقُ على كل أنواع الخطابات؛ إنها تحلل بنية مختلف قطع الخطاطة السردية، دون أن تكون، من أجل ذلك، مكونات لهذه الخطاطة التي تطابق "تمفصلا" « Articulation » آخر للخطاب، بالمعنى الذي يعطيه "مارتيني" Martinet لهذا المصطلح.

إن البرامج السردية (التي نختصرها في ب س) هي وحدات بسيطة، لكنها قابلة للتمطيطات « Expansions » وللتعقيدات الصورية « Complexifications » « formelles التي لا تغير في شيء وضعها كصيغة تركيبية تُطَبَّق على المواقع السردية الأكثر تنوعا.

أ)- هكذا، فقد أشرنا سلفا، بحديثنا عن الاختبارات، إلى أحداث التضعيف والتثليث التي لا تعد في الواقع سوى تناسلات كمية لل ب س [للبرامج السردية] حيث تعد الدلالات الوظيفية للتكثيف والتعميم (داخل الخطاطة السردية) واضحة.

ب)- يمكن أن نضيف إلى ذلك تناسلات لل ب س تعزى إلى تناسل موضوعات القيمة المستهدفة (يعيد القزم إخوته أولا، ثم يحصل بعد ذلك على ثروات).

ج)- يمكن لعلاقة احتوائية « Hypotaxique » أن تحكم برنامجين أو عدة برامج سردية مرتبطة فيما بينها، فالبرنامج السردي الاستعمالي « Un PN d'usage » يسبق البرنامج السردي الرئيسي « Le PN principal » (لكي يصل القرد إلى الموز، يبحث أولا عن العصا).

د)- بإمكاننا في النهاية إدراج حساب لل ب س [للبرامج السردية] المتعالقة، بتحليل انتقالات المواضيع والتواصل بين الذوات ("مشكل في السيميائيات السردية: مواضيع القيمة"، لغات، العدد 31).

تعد لائحة تعقيدات ب س [البرامج السردية] غير شاملة، مع ذلك فهي تعطي مؤشرات كافية فيما يخص إمكانية شكلنة أكثر تقدما للتركيب العاملي، الأداة الضرورية لتحليل الخطابات.

III-سيميائيات الفعل :

1- إنجاز الذات :

من الممكن الآن العودة إلى الخطاطة السردية لكي نرى كيف تتجلى فيها مختلف عناصر التركيب العاملي، كيف تشتغل بالتدقيق الـ ب س [البرامج السردية]، التي نعتقد أننا اعترفنا داخلها بالآلية الخاصة بتحليل السردية، داخل الوحدات الكبرى المشكلة لهذه الخطاطة. بسيرنا خطوة خطوة، لن نأخذ بعين الاعتبار الخطاطة في مجموعها، بل في أحد المسارات السردية التي تكونها (V. Supra ,1-2) وليس المسار برمته، بل أحد مركباته، خصوصا ذلك الذي يطابق الاختبار الإنجازي داخل النموذج البروبي. قلنا على أن ذلك [الاختبار الإنجازي]، يعد المكان المميز من المحكي حيث يتمكن البطل أخيرا، عقب بحثه، إنجاز المهمة التي كلف بها: إنها اللحظة من المسار السردي التي تبدو بنيويا الأكثر قربا من تعريف الـ ب س بوصفه فعلا إنجازيا.

لا يجب أن ننسى مع ذلك على أن الـ ب س يعد الشكل التقنيني المحلل، مبدئيا، لكل فعل كيفما كان: إن إسقاطه على مركب المسار السردي المعاين بهدف المماثلة، يجب أن يصاحب وضع عدد معين من القيود « Restrictions » في مكانها، التي بمحافظتها على مميزات الفعل، ستكون مهمتها تخصيصه بتمييزه عن باقي التجليات الممكنة للـ ب س. ها هي أهم هذه القيود:

أ)- يجب أولا التسليم باجتماع ذات الفعل وذات الحالة في عامل سردي واحد: بهذا الشرط، يمكن الاعتراف بالذات السيميائية بوصفها كائنا وبوصفها فاعلا. (نلاحظ على العكس A» « contrario أن انفصال ذات الفعل وذات الحالة، المتجلي مثلا داخل التشكل "هبة" « Don »، يميز العلاقة بين المرسل والمرسل إليه).

ب)- فالذات المتشكلة هكذا، يجب أن تستهدف موضوعا مستثمرا ذو قيمة واصفة. تتميز القيم الواصفة بإقصاء القيم الصيغية « Valeurs modales » وتنقسم إلى قيم تداولية « Valeurs pragmatiques »(تعود إلى كل الفضاءات الأكسيولوجية الممكنة) وقيم معرفية « Valeurs cognitives » (مشكلة ليس باستهداف موضوع القيمة، بل بالمعرفة « Savoir » حول هذا الموضوع): بتتبع طبيعة القيم المستهدفة، سنقول على أنه، في الحالة الأولى، يتموقع المسار السردي على البعد التداولي « Dimension pragmatique »، وفي الحالة الثانية، على البعد المعرفي « Dimension cognitive »، قامت الذات بالفعل التداولي أو المعرفي.

ج)- يقوم القيد الثالث أخيرا على نمط الوجود السيميائي للبرنامج السردي: فلكي ينطبق على مكون المسار السردي الذي نفحصه، يجب على ب س أن يكون منجزا، بجعله ممارسا وصولا إلى النتيجة المتضمنة في ملفوظ الحالة (اتصال أو انفصال).

إن ب س، بخضوعه لهذه القيود – إلا أنه قابل للتوسعات المبنية في 2-2- 3 -، يحدد مكون المسار السردي المسمى إنجاز الذات « Performance du sujet ».

2- أهلية الذات :

يبدو بديهيا على أن الذات لا يمكنها تحقيق إنجاز ما، إلا إذا توفرت مسبقا، على الأهلية الضرورية: إن الافتراض المنطقي المسبق يشكل إذا، قبل أي اعتبار آخر، أساس مكون

المسار السردي الذي يسبق الإنجاز« La performance» . كذلك، إذا كان الإنجاز يطابق، على الرغم من القيود المدرجة، تعريف الفعل بصفته "فعل- كينونة" « Faire- être »، فإن الأهلية يمكن أن تصاغ، داخل نفس السجل الحدسي، بوصفها الشرط الضروري للفعل، باعتبارها "ما يفعل الكينونة" .

لكن، على عكس ما يحدث عندما نود الإحاطة بمفهوم الإنجاز، لا يمكن الحصول على تعريف الأهلية انطلاقا من نموذج الـ ب س ومن ملفوظ الفعل الذي يشكل النواة: إن الأهلية هي "ما يفعل الكينونة"، فهي من نظام الـ"كينونة" وليس الـ "فعل". تبعا لذلك، فما يجب أن يؤخذ بوصفه نقطة الانطلاق من فحصه هو بنية ملفوظ الحالة، كما أن الذات المؤهلة يجب أن تعرف أولا، بواسطة مواصفات أرفقت بها والتي تشكل نفس القدر من القيود التي تخصصها، بصفتها ذات حالة.

أ)- يجب على الذات المؤهلة أن تكون ممتلكة لـ ب س يكون من المحتمل أن تنجزه، برنامج سيكون له، من حيث نمط وجوده السيميائي، وضع الـ ب س المُحيَّن « Actualisé » (وليس المنجز) « Réalisé » .

ذ ∩ ب س (مع)

ب)- يجب على الذات المؤهلة، من جهة أخرى، أن تكون حاملة لـ "علامات" « Marques » إنجاز هذا الـ ب س، مما يعني أنه يجب عليها أن تمتلك مجموعة من مُوَجِّهَات « Modalités » الإرادة و/ أو الواجب والقدرة و/ أو معرفة الفعل. من ثم، يجب على الذات المؤهلة، بصفتها ذات حالة، أن تكون في اتصال مع موضوع مستثمر بمركب من القيم الجهية « Valeurs modales » (وليس الواصفة):

ذ∩ م ق (إ/ و + ق/ م)

إن الموضوع الجهي المقصود يعد مشكلا من مجموعة من التحديدات التظافرية « Sur-déterminations»للفعل، بمعنى من مواصفات يجب أن يمتلكها الفعل قبل أن يصبح فعالا، بشكل سابق عن تحققه: باتصالها بهذا الموضوع، تبدو الذات المؤهلة إذن بصفتها حاملة لفعل محين، بصفتها ذاتا سيميائية بالقوة.

ملاحظة : لتفادي سوء تفاهمات محتملة، يجب تسطير أنه بالنظر إلى المقاربة البنيوية التي تخصنا، فإننا نقصد هنا بأهلية الذات توليفا لموجهات منسجمة ("من أجل نظرية للموجهات" لغات، شتنبر، 1976):الأهلية ليست دائما إيجابية، يمكن أن تكون غير كافية بل و سلبية، تماما كما يمكن للإنجاز أن يكون ناجحا أو يصل إلى الفشل.

هذه شروط عامة تعرف حالة الذات المستعدة للمرور إلى الفعل، في الموقع الذي يسبق مباشرة الإنجاز. غير أنه، إذا كان اعتبار الأهلية بوصفها حالة، يسمح بالشروع في الوصف، فإن ذلك لا يستنفذ كلية الإشكالية. نُوَوِّل الملفوظات التي تصوغ هذه الحالة بوصفها محكومة بملفوظات الفعل بتحليلها للتحولات التي توصلت إلى تشكيل "حالات الأشياء" « États de choses». بمعنى آخر إن وجود الذات المؤهلة يقدم المشكل ويفترض مسبقا آلية تَكَوُّن الأهلية.

يعد المحكي البروبي في شأن ذلك أقوى تَجَلٍّ: فالاختبارات التأهيلية، المتعددة والمتنوعة، التي نجدها متطورة فيه، تُقِرُّ بالأهمية التي يوليها المحكي لاكتساب الأهلية.

ليس مدهشا إذن، إذا كان تكون الأهلية، التي بمجرد أن تتشكل تبدو كـ "حالة" للذات، يأخذ الشكل التركيبي المتوقع لسلسلة من الـ ب س [البرامج السردية] الموجهة لإنتاج إغنائه المتقدم. غير أنـه، على عكس ما يحدث أثناء الإنجاز، حيث أن الذاتين

- ذات الفعل وذات الحالة - تجدان نفسهما في تآلف، فإن الذات الفاعلة «Le sujet opérateur » تبدو هنا بصفتها موقعا تركيبيا جاهزا، قابلا لأن يُحْتَلَّ من قبل ممثلين مختلفين. ما بين هبة المرسل البسيطة والمؤهلات المكتسبة عبر صراع شديد من طرف الذات نفسها - تمثيلان متخيلان مستقطبان لأصول الأهلية، مطابقان إجمالا لمتوالية من الثنائيات من قبيل الحتمية وحرية الاختيار، الفطرانية والمكتسبانية – تقع أشكال ملتبسة، مفاهيم مركبة حيث يهيمن أحد القطبين: إن أجمل مثال على ذلك هو هذا الاختبار التأهيلي، مُمَيِّزُ الحكاية العجيبة، الذي يتضمن معركة مصطنعة توهمنا بأن الذات تؤهل نفسها بواسطة وسائلها الخاصة، والتي تكشف في نفس الوقت، تحت قناع الخصم، عن صورة المرسل، الواهب الحقيقي للأهلية.

3- التصور الدينامي للبنيات العاملية :

لقد برز تدريجيا تصور مُجَدَّد للعامل السيميائي من خلال فحص المسار السردي الذي أحطنا فيه بترهينين « Deux instances » – الأهلية والإنجاز- مترابطين منطقيا. بالاعتراف للعامل أولا بوصفه افتراضية مُنْشِئَة للكينونة وللفعل، قابلا لتمفصلات صنافية، فإنه يبدو الآن بصفته حاملا لتعريفات مركبية تكميلية.

لنأخذ حالة الذات السيميائية: لقد رأينا على أنه، حسب كونها مسجلة بصفتها حاضرة في أحد المكونات، فإن الذات تعد مؤهلة أو منجزة. هذا التمييز لا يزال بعد، رغم ذلك، أقل تهذيبا: فمن وجهة النظر المركبية، تنجز الذات، على الخطاطة السردية المتوقعة، مسارا سرديا مكونا من سلسلة من الحالات « Suite d'états » ، كل حالة تتميز عن تلك التي تسبقها بسبب تحول مُوَلِّد لانقطاعات معترف بها. من ثم، لا يكفي الحديث عن الذات السيميائية تجريديا « In abstracto» بوصفها مؤسسة على مفاهيم التفريد « Individuation » و"دوام الكينونة" « Permanence de l'être » ، أيضا يجب تدقيق موقعها المركبي كل مرة (المفهوم بوصفه وضعية حالة الذات في علاقتها بمجموع المسار) والوضع الجهي الذي يميزها في كل مرحلة من هذا المسار (تعد الذات مؤهلة بالتوالي، مثلا، حسب الإرادة-، القدرة-، معرفة-الفعل). هكذا، في نطاق تفكك المسار السردي إلى سلسلة من الحالات السردية، سنعني بالدور العاملي « Rôle actanciel » التحديد الموقعي والجهي في الوقت ذاته لكل حالة من هذه الحالات.

تبرز أول صعوبة عندما نود الإحاطة بهذا التصور الدينامي للعامل السيميائي: نتبين بسرعة على أن الذات ليست تواليا بسيطا للأدوار العاملية التي تضطلع بها، بل على العكس، فهي تعد، في كل حالة من المسار، المجموع المنظم للأدوار العاملية المكتسبة على طول المسار السابق، على أن "البطل" مثلا لا يعد فقط الذات المُدْرِكَة لحظة خروجها منتصرة من معركتها الحاسمة، بل أن وراءها "ماض" كله، جعلها كما هي منذ "طفولاتها" « Enfances » وعبر الاختبارات. هذه هي إحدى الصعوبات الكبرى ولكن أيضا الفائدة الرئيسية للسيميائيات الخطابية:

إن الخطاب، بخلاف الجملة المعزولة، يمتلك "ذاكرة"« Mémoire » ؛ فلو أمكننا القول، من وجهة نظر معينة، على أنه مُكَوَّن من توالي للملفوظات، وجب علينا أن نضيف مباشرة، كما على طريقة "إذا" «Si» الفرنسية التي تفترض مسبقا "لا" « Non » سابقة، أن ملفوظا ما مدرجا ضمن تواصلية الخطاب، "يتذكر" « Se souvient » بأن حالة محددة تفترض مسبقا حالة مستترة سابقة. ينتج عن ذلك نوع من تنافر المزاج – أو الطبيعية؟ - ما بين تحليل الخطاب السردي والنحو التحويلي الذي لا يعالج سوى تحولات ما بين ملفوظات قابلة لأن توضع في تواز وليس سلسلات منظمة لملفوظات. هنا أيضا تكمن صعوبة الاستفادة ، بالنسبة لهذا النوع من التحليل، من القواعد المُخْتَبَرَة للحساب المنطقي التي تقوم على مبدأ استبدال الملفوظات أو القطع التوتولوجية.

سيكون الآن تمييز الدور العاملي عن الوضع العاملي أكثر يسرا: في حين أن الدور العاملي ليس سوى الفائض الذي يضاف، في لحظة معطاة من المسار السردي، إلى ما يشكل العامل سلفا عقب التقدم المركبي للخطاب، فإن الوضع العاملي هو ما يحدده مع الأخذ في الحسبان كلية مساره السابق، المتجلي أو ببساطة المفترض مسبقا.هكذا، فالمساعد L'adjuvant » «مثلا هو ممثل يقوم بدور عاملي للذات المنفصل عنها بوصفه ممثلا؛ إن الوضع العاملي للذات، لحظة اكتساب المساعد، يتشكل من مساره السابق الخاص به، فضلا عن المساعد.

4- أنماط الوجود السيميائي :

رغبة منا في أن نكون واضحين، استعملنا أساسا، لتصوير إشكالية تنظيم الأدوار العاملية، أمثلة مأخوذة من قطعة المسار حيث يوجد صوغ الأهلية متموضعا، بمعنى في العمق، بإشراك الذات السيميائية بوصفها ذات الفعل. من هذا المنظور، تمر الذات بالتوالي، بوصفها ترهينا مُنْشِئًا لأفعالها، عبر ثلاث أنماط مختلفة للوجود السيميائي:

ذات افتراضية ←ذات محينة ←ذات متحققة،

ثلاث حالات سردية حيث تعد [الحالة] الأولى سابقة عن اكتساب الأهلية، حيث تَنْتُجُ الثانية من هذا الاكتساب وحيث تسمي الأخيرة الذات بإنتاجها للفعل الذي يقرنها بموضوع القيمة وبإنجازها إذا لمشروعها.

مع ذلك، بإمكان الذات السيميائية كذلك أن تُعْتَبَرَ بصفتها ذات حالة، كاحتمال للكينونة قابلة لاستقبال "قصتها" الخاصة بها. غير أن ذات الحالة تُعَرَّفُ أساسا وفقط بعلاقتها مع موضوع القيمة، علاقة تعد خاضعة لتغيرات على طول المسار السردي. هكذا، في استقلال عن الاستثمارات الدلالية التي يمكن أن تستقبلها مواضيع القيمة، أمكننا الحديث عن وضعها الجهي وعن أنماط وجودها السيميائي. إذا كان موضوع ما، لا يصبح قيمة إلا بوصفه إسقاطا لـ "إرادة-كينونة" « Vouloir- être »الذات، بمعنى موهوب بالوضع الجهي للـ "كينونة-المرادة"-Etre « voulu»، أمكننا تصور على أنه قبل أن يصبح قيمة لدى الذات، فإنه لم يكن لديها [القيمة] إطلاقا وجود افتراضي داخل الفضاء الأكسيولوجي المزكى عامليا من طرف المرسل. يمكننا القول، باسترسالنا، على أن تحمل الذات لذلك وتسجيلها داخل البرنامج السردي يُحَيِّنُ القيمة،على أن الاتصال مع الذات يحققها ،على أن تنازلا ما يفترضها ثانية أو على أن انفصالا قسريا يحينها ثانية ...إننا إذا لا نجد فقط الأنماط الثلاثة للوجود السيميائي لمواضيع القيمة :

موضوع افتراضي← موضوع محين ←موضوع متحقق

التي تتطابق مع المسار العام للذات وتحدده كذلك، بل أيضا تطورات جديدة ممكنة انطلاقا من الإنجاز حيث تخلق تنازلات عن المواضيع إطالات للخطاطة السردية وحيث تصلح خسارات جديدة للمواضيع كمحاور سردية، بحجة فتح مسارات جديدة.

IV- منظورات جديدة :

1- بعض الخلاصات :

1- يمكننا أن نستشف بشكل مستحسن إمكانيات تطبيق تنظير كهذا للمسارات السردية للذات على التحليل النصي: هذه المسارات، مأخوذة مع مجموع متغيراتها، يمكن أن تُعْتَبَرَ بصفتها نماذج للتوقع وأن تُسْقَطَ على نصوص خاصة متجلية، بسماحها هكذا بالتعرف إلى أي نمط من المسارات وإلى أي قطعة من المسار يطابق النص-المتجلي. بمجرد التعرف إلى "البنية-الكبرى" « La macro- structure » للنص، يكون إذن الشروع في تحليل "البنيات-الصغرى" « Micro- structures » أكثر يسرا، باستخدام الأدوات المُعَدَّة في إطار التركيب العاملي (ملفوظات الحالة والفعل، ب س، إلخ).

2- إن الاستثمار النظري الأكثر تقدما للتعرف على المسارات يعد كذلك مقبولا. لقد رأينا على أنه، بغض النظر عن المضامين المستثمرة داخل الخطابات السردية وعن أنظمة القيم التي تساهم في بنائها، من الممكن التعرف على الذوات في كينونتها (في علاقاتها مع مواضيع القيمة) وفي قدرتها على الفعل (على إنتاج أفعال منظمة في نشاطات)، فكل ذات تكون قابلة لأن تكون موهوبة بتعريف جهي وموقعي في الوقت ذاته، بمعنى صوري وليس مادي. هكذا، تقدم السيميائيات السردية جهازا إجرائيا من أجل بناء نمذجة للذوات السيميائية « Typologie des sujets sémiotiques»، بالمساهمة بهذه الوسيلة في إعداد سيميائيات للثقافات.

3- من جهة أخرى، كشف لنا فحص الخطاطة السردية عنها بوصفها موهوبة ببنية تصالحية و/أو جدالية، بإخراج ومواجهة ذوات ذات أهلية متفاوتة، بقصديات متصارعة غالبا. انطلاقا من نمذجة للذوات ذات الطابع الصنافي، يمكن بناء تركيب دينامي، متصور بوصفه استراتيجية للتواصل « Communication » ما بين ذوات مؤهلة تتبادل مواضيع قيمة كيفما كانت.

4- إن هذا الفحص الموجز التلخيصي يسمح سلفا بقياس المسار المقطوع منذ الاكتشاف الثاني للتحليلات السردية الأولى لبروب في فرنسا، المتميز بإعداد أدوات منهجية أكثر دقة، عبر توسيع الإشكالية السيميائية كذلك. مع ذلك، إذا كان السيميائي يشعر أحيانا، في مجال سيميائيات الفعل، كما قمنا بحصرها، بأنه يتقدم بخطى ثابتة، فإن حقولا أخرى، غير قليلة، لا تزال بلا عناية.

2- التأطير الأكسيولوجي :

في سعينا لتفسير النموذج البروبي، انطلقنا من نواة مركزية، مكونة من توالي للاختبارات، وقد أولناها بصفتها مسار الذات، بل باعتبارها، جَرَّاءَ وجود مواجهة للذوات، بوصفها المكان المميز للخطاطة السردية. مع ذلك، فإن هذه النواة هي بعيدة عن أن تُكَوِّنَ كل المحكي: بالعكس، فهي مكسوة، على مستوى أعلى تراتبيا، ببنيات عاملية وتلاحقات سردية ذات طبيعة مختلفة.

هكذا، فإن الشأن الوحيد لازدواج المحكي، مميز الحكاية العجيبة، يرغمنا على الإقرار بوجود نوع من التنظيم الاقتصادي « Économique » الذي يحتوي المحكيين معا: فمساراهما السرديان - اللذان يخصان الذات والذات-المعاكسة - يتطوران في اتجاهات متقابلة ويُختزلان في صيغة للتعويض، حيث يكون وفقها تهديم النظام الاجتماعي متبوعا بالعودة إلى النظام، كما أن الاستلاب يتم إصلاحه من خلال الالتقاءات من جديد بالقيم المفقودة. كل شيء يحدث كما لو أن التنظيم السردي يخضع إلى مبدأ للتوازن يتجاوز ويحكم الأفعال الإنسانية المنجزة من قبل الذوات.

ما يصدق على تقاطع مسارات الذوات يصدق على المُكَوِّن فعل « Action » المأخوذ منفصلا. إذ يجد نفسه مُغْلَنًا ومُؤَطَّرًا بالبنية التعاقدية « La structure contractuelle » التي تهيمن على سير المحكي: فالعقدة المبرمة منذ البداية ما بين المرسل والذات-المرسل إليها تحكم المجموع السردي، المتبقي من المحكي يبدو إذن بوصفه تنفيذا لها بواسطة الطرفين المتعاقدين، كما أن مسار الذات، الذي يشكل مساهمة المرسل إليه، يعد متبوعا بالجزاء التداولي (المكافأة « La rétribution ») و المعرفي (الاعتراف« La reconnaissance ») للمرسل.

من تم، فإن فعل الذات يجد نفسه مُؤَطَّرا بقطعتين تعاقديتين : تأسيسه وجزاؤه اللذان يعودان إلى ترهين « Instance » عاملي أعلى، مختلف عن الذي يخص الذات. نقول على أنه يوجد، في البداية « En amont »، ترهين إيديولوجي لتبليغ الفعل، و في النهاية « En aval » ترهين جديد لتأويله ومماثلته مع الفضاء الأكسيولوجي الذي يمتلكه. على طريقة اللسان الذي باعتباره نظاما، يؤسس ويعلم الكلام بوصفه ممارسة للغة، يبدو فعل الإنسان، من هذا المنظور، غير ذي معنى إلا إذا أدرج ضمن فضاء القيم الذي يحيط به.

إننا نعرف المقتضيات التي يفرضها التركيب السردي السطحي على هذا الشكل من المتخيل، متطلِّبا بذلك وضع عوامل مؤنسنة في مكانها. تبدو هكذا صورتان للمُرْسِلِينَ – مجتمعتان غالبا في عامل–أعلى « Archi-actant » واحد -، الأول بوصفه المالك للقيم التي سيسعى إلى إدراجها ضمن برامج الفعل، الثاني بوصفه الحاكم على مطابقة الأفعال في علاقتها بأكسيولوجيا المرجع.

3- مسارات المرسلين:

هكذا يغتني فحص الخطابات السردية بإشكالية جديدة غير مستكشفة بعد، وتعمل الخطاطة السردية على إظهار مكونات جديدة يمكن أن نسعى للإحاطة بها وتأويلها بصفتها مسارات سردية جديدة منجزة ليس من قبل ذوات، بل من قبل عوامل جديدة مسماة بوصفها مُرْسِلة سيميائية « Destinateurs sémiotiques » .

لقد سجلنا سابقا بعض الاختلافات التي توجد ما بين هذين النمطين من المسارات. لنلخصها بإيجاز.

1)- من وجهة النظر المركبية، تبدو الخطاطة السردية في مجملها بوصفها مسارا مزدوجا للمُرْسِل ، حيث تحتوي القطعتين – الأولية والنهائية - مسار الذات. قَلَمَا يفيدنا هذا المميز الصوري لو أننا لم نتمكن من ربطه بمواصفات سردية أخرى. يجب إذن أن نضيف على أن مسار المُرْسِل يقع على البعد المعرفي« La dimension cognitive » من الخطاطة

حيث يمارس المُرْسِل فعلا معرفيا، بخلاف البعد التداولي « La dimension pragmatique » لمسار الذات وللفعل الحدثي« Faire événementiel » البدني الذي يتجلى داخله.

2)- إن العلاقة القائمة ما بين ذاتي الفعل تبدو لنا ذات نمط تعاقدي « Contractuel »، فالخطاطة تعد مبنية على تبادل مزدوج، تبادل للالتزامات أولا، تبادل لبرامج التنفيذ بعد ذلك. مع ذلك، فالتعاقد الذي يربطهما هو غير متساوي، كما تبقى داخله علاقة تراتبية « Hiérarchique » ضمنية، قد يعود ذلك إلى كون بنية التبادل لا تعد بالنسبة للمُرْسِل سوى الإطار الذي يمارَس فيه تواصلُه التشاركي « Communication participative » : عندما تعقد الذات في الاتفاق مجموع فعلها وكينونتها، فإن المُرْسِل، الأعلى السخي، إذا كان يعطي كل شيء، فإنه لا يفقد أي شيء من جوهره.

ليست هذه مع ذلك، سوى خطوط سطحية، متعرف عليها خلال فحص الخطاطة البروبية. التحديدات الأكثر دقة لن تبدو إلا إذا اعتبرنا القطعتين- الأولية والنهائية - في انفصال عن مسارات المُرْسِل.

بأخذ القطعة الأولى فقط من هذا المسار، نلاحظ على التو أن الاختلاف بين هذا المُرْسِل الأصلي والذات يكمن في وضعهما الجهي « Statut modal » الخاص: فعندما تُعَرَّف الذات السيميائية بوصفها ذاتا للفعل، بقدرتها على الفعل، و"فعل-كينونة" « Faire- être » الأشياء، فإن المُرْسِل، منظورا إليه من نفس الزاوية، هو ذلك الذي "يدفع للفعل" « Fait faire »، بمعنى هو الذي يمارس فعلا يستهدف استفزاز فعل الذات. تعريف كهذا للمُرْسِل السيميائي - مميزا بوضعه الجهي المتعدي « Statut modal factitif » وبموقعه المركبي « Position syntagmatique» كسابق في علاقته بالذات - يسمح باعتبار مسار هذا المُرْسِل بصفته وحدة سردية مستقلة وبفصله عن خطاطة بروب حيث كان يبدو جامدا بوصفه تعبيرا عن نوع من الإيديولوجيا التي ليست سوى قراءة خاصة ضمن العلاقات الممكنة ما بين المُرْسِل والذات- المرسَل إليها. هكذا، فالعلاقة بين المُرْسِل والذات، كما تبدو داخل المحكي البروبي، هي تلك العلاقة التراتبية المؤسسة، كما أن العلاقة مُهَيْمِن/ مُهَيْمَن عليه التي تميزها، هي معطاة سلفا. غير أنه من الممكن، بل يبدو ضروريا، قلب حدود المشكلة: فعوض اعتبار القدرة « Pouvoir » بصفتها سابقة في الوجود على فعل-الفعل وبصفتها مصدرا له، يمكننا، على العكس، أن نزعم على أن فعل-الفعل « Faire-faire »، بمعنى تسخير الذوات « La manipulation des sujets » من قبل ذوات أخرى، هو حدث مبدع لعلاقات الهيمنة وأصل القدرة القائمة. إن التشكلات الخطابية للـ"مدح" « Flaterie » و "الابتزاز" « Chantage »، يمكن أن تصلح أيضا كمثال-معاكس على قدرة ثانية تغطي العلاقات التراتبية السابقة في الوجود.

نفهم مُذَّاك، على أن المسار السردي للمُرْسِل، المعرف هكذا، يمكن أن يظهر ليس فقط بصفته مكان تمرين القدرة القائمة، ولكن أيضا بصفته المكان الذي تُصَمَّمُ فيه مشاريع التسخير « Manipulation »وتُعَدُّ فيه البرامج السردية مستهدفة دفع الذوات - صديقة كانت أو عدوة - إلى ممارسة الفعل المرغوب فيه. لو أمكنَ مُوَجِّه فعل-الفعل، في مستوى معين حيث تَتَكَوَّن وتُمَارَس العوامل الجماعية، تعريف حكومة الرجال، لتمكنت بنيات جهية مماثلة كذلك من تحليل الحكومة ب « Par » و من أجل « Pour » الرجال: أي أن المسار السردي المعاين يعد بناء صوريا، قابلا لأن يستثمر من قِبَل إيديولوجيات مختلفة. يعني كذلك على أن المسار السردي،

باعتباره كذلك، يعد غير مختلف عن نمط العوامل التي هي المُرْسِل أو الذات المتجلية: حالات، مجتمعات، مجموعات اجتماعية أو أفراد.

باعتبار القطعة النهائية لمسار المُرْسِل حاليا، نلاحظ على أن الصورة المُحَرَّرَة للمُرْسِل هي جد مختلفة: لم يعد المُسَخِّر الأكبر، سيد الكون هو الحاضر، بل متعاليا على طريقة ميترا « Mithra » ، حارس الاتفاقيات، إنصاف العلاقات الإنسانية، وحقيقة الأشياء والكينونات. يبدو الفعل الذي يمارسه مزدوجا. يتعلق الأمر أولا بفعل معرفي وباعتراف، بمعنى مماثلة للأفعال المنجزة ولطرق التقديم بواسطة قواعد الأكسيولوجيا الحائز عليها. فهو الحكم على مطابقة « Conformité »الأفعال والكينونات: تعد أفعال الذوات المطابقة للنماذج المؤسسة سابقا صحيحة « Justes » ، فأحكام الوجود التي تعرضها عليه الذوات، عندما تكون مطابقة للقواعد المتوقعة، تصبح صحيحة « Vrais » . إن البنية الجهية التي تميز مُرْسِلا كهذا هي أولا معرفة –الفعل «Savoir-faire». النمط الثاني من الفعل، الذي يتبع المطابقة المؤسسة من قبل الاعتراف، هو مغطى بمصطلح الجزاء « Sanction »، مصطلح معقد و ملتبس، لأنه يسمي في نفس الوقت حكم المطابقة مُعْتَبَرًا بصفته فعلا « Acte » معرفيا، وتمرين القدرة (المكافأة)، وفعل-المعرفة « Faire-savoir » (الاعتراف العام بأفعال الذات)، تعد مجموع هذه الموجهات محكومة بإرادة « Vouloir » أصلية.

نرى كيف أننا ننفصل تدريجيا عن الصورة المتعالية – الأكثر دوميزيلية « dumézilienne » منها عن البروبية – من هذا المُرْسِل، سيكون من الممكن أن نضفي على المسار السردي، الذي قمنا فيه برسم الخطوط العريضة، وضعا أكثراستقلالية وأكثر عمومية في الوقت ذاته. هنا، تماما كخلال فحص المسار الأول للمُرْسِل، نجد أنفسنا في حضرة التصور، المتوارث عبر تقليد ميتولوجي وفولكلوري كلي، ذو تعالي مطلق، مؤسس مسبقا وغير مناقش: حيث يهيمن إذن مُرْسِل إبستيمي « Destinateur épistémique» ، يُعَدُّ المالك الوحيد للعدالة والحقيقة، على مجموع المسار. إلا أن حدود الإشكالية يمكن أن تُقْلَبَ بسهولة وأن يُمَاثِلَ الرهين الإبستيمي نفسه. لو تخيلنا، عوض مُرْسِل يمتلك معرفة « Savoir » ومعرفة-فعل « Savoir-faire » مضمونة، مُرْسِلا يوجد في بحث عن المعرفة الحقيقية « Savoir vrai » ويمارس، بذلك، فعلا تأويليا « Faire interprétatif » مستمرا، لأصبح المسار السردي الذي نختطه، بعيدا عن كونه مُهَيْمَنًا عليه من قبل نظرية الحقيقة المُؤَسَّسَة (مما لا يعد سوى إحدى كيفيات تصور هذا المسار)، مميزا بالبحث عن شروط الحقيقة، كما أن الجزاء الممارس بتعالي من طرف المُرْسِل المطلق سيبدو بوصفه أحد الأشكال الممكنة لانخراط « Adhésion » المُرْسِل في صورة العالم المُقَدَّم له، انخراط يُقَيِّمُ تحري المخبر، عمل الباحث العلمي وبحث المؤمن.

مساران سرديان لكل واحد منهما بالنسبة للذات مُرْسِل متميز، أم قطعتان مستقلتان لنفس المسار الوحيد يستعيرهما على التوالي مُرْسِل وحيد؟ أي إجابة، في هذا الطور من البحث، ستكون مغرورة ولن تقدم أي شيء لفهم الآليات المعرفية. فالميدان يعد بالكاد مُمَهَّدًا والبحث قد ابتدأ للتو.

أ. ج. كريماص

Condé- sur- Huisne, 30 juin 1976